مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 13 عدد خاص سبتمبر 2022
الرؤية الأمريكية الاستشراقية للتأريخ والفكر العربي الإسلامي
ص ص 243 . 282.

الرؤية الأمريكية الاستشراقية للتأريخ والفكر العربي الإسلامي

محمد عيساوي

جامعة المسيلة، mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 03/ 07/ 2020 ؛ تاريخ القبول: 24/ 06/ 2022

The American Orientalist view of Arab and Islamic history and thought

Abstract :

The article focuses on the American Orientalist School and its research on medieval history and Arab- civilization .It includes important discussions about what is term Orientalism in the perspective of American Orientalists, the origins of American Orientalism and its areas of interests and characteristics, as well as highlighting the most valuable and fair scientific contributions made by the pioneers of American Orientalism in the field of Arab and Islamic history and civilization, and examples that have been picked up on the side of Oriental orientation Frantz Rosenthal, Wall Durant, and Michael Hart.

On the other hand, the research sheds light on a number of orientalists who have been prejudiced against the Arab-Islamic civilization. Among the most prominent orientalists who were mentioned to find out a number of negative aspects of Orientalism in the field of Orientalization service Samuel Zwimmer, or the avoidance of rightness in some historical opinions related to medieval Islamic history such as, or political employment of Orientalism such as orientalist

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

Bernard Lewis. Among the aims of this study are to celebrate the scientific production and invest the visions of Arab and Muslim researchers in criticizing and evaluating Orientalist visions, and to value and fairness the pioneers of American Orientalist studies that contributed to the Arab-Islamic heritage to achieve, publish and translate. And crystallizing an objective and equitable position on Orientalism in general and contemporary American Orientalism in particular.

Keywords: American Orientalist; Orientalists; Arab and Islamic thought; Bernard Lewis; medieval history; Arab-Islamic civilization.

الملخص:

يتمحور المقال حول المدرسة الاستشراقية الأمريكية وبحوثها المتعلقة بالتاريخ الوسيط والحضارة العربية الإسلامية؛ ويتضمن مباحث مهمة حول ماهية مصطلح الاستشراق من منظور المستشرقين الأمريكيين، ونشأة الاستشراق الأمريكي ومجالات اهتماماته وخصائصه، كما يتطرق إلى أبرز الإسهامات العلمية القيمة والمنصفة التي اضطلع بها رواد الاستشراق الأمريكي في مجال التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، ومن الأمثلة التي تم انتقاؤها في جانب الإنصاف المستشرق فرانتز روزنتال، وول ديورانت، وجورج سارتون، ومايكل هارت .

وفي المقابل يسلط البحث الضوء على عدد من المستشرقين الذين أجحفوا في حق الحضارة العربية الإسلامية. ومن أبرز المستشرقين الذين تم إيرادهم للوقوف على عدد من الجوانب السلبية للتوظيف

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

الاستشراقي في مجال خدمة التنصير المستشرق صمويل زويمر، أو مجانبة الصواب في بعض الآراء التاريخية المتعلقة بالتاريخ الإسلامي الوسيط مثل فيليب حتي، أو التوظيف السياسي للاستشراق مثل المستشرق برنارد لويس.ومن بين الأهداف التي تصبو إليها هذه الدراسة الاحتفاء بالانتاج العلمي واستثمار رؤى الباحثين العرب والمسلمين في نقد وتقويم الرؤى الاستشراقية، وتثمين وإنصاف رواد الدراسات الاستشراقية الأمريكية التي أسهمت في التراث العربي الإسلامي تحقيقا ونشراً وترجمةً، مما يمكن أن يُعد نواة لدراسات معلوماتية تالية، وبيان الجوانب السلبية في الاستشراق الأمريكي.

وبلورة موقف موضوعي منصف من الاستشراق بصفة عامة والاستشراق الأمريكي المعاصر بصفة خاصة. وتم من خلال البحث اعتماد جملة من المراجعات النقدية الجادة للاستشراق الأمريكي على غرار إدوارد سعيد و علي إبراهيم النملة

الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ أمريكا؛ الفكر العربي الإسلامي؛ التاريخ؛ العصر الوسيط .

مقدمة:

يعتبر الاستشراق الأمريكي أحد أبرز مدارس الاستشراق شهرة وذيوعا في الساحة الثقافية المعاصرة؛ بما أنتجه من عدة دراسات أكاديمية متخصصة في مختلف مجالات الحضارة العربية الإسلامية، وأصبحت هذه

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

الدراسات مراجع معتمدة في الجامعات والمراكز البحثية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها في الغرب أو الشرق على حد سواء.وبناء على هذا الأمر فإن الباحث في تاريخ الحركة الاستشراقية يتوقف عند إشكالية محورية تتعلق بمدى إسهام المدرسة الاستشراقية الأمريكية في الإثراء الإيجابي للتاريخ والفكر العربي الإسلامي. وللإجابة عن الإشكالية المحورية السابقة، اتخذ الباحث جملة من الإجراءات البحثية العلمية ومن أهمها انتقاء نماذج من دراسات رواد المدرسة الاستشراقية الأمريكية وتحليل توجهاتها ومواقفها إزاء الحضارة العربية الإسلامية ونقدها، والاستعانة بجملة من المراجع الأكاديمية المتخصصة في نقد الاستشراق .

وفيما يتعلق بالمخطط العام للبحث فهو يتضمن مباحث مفصلية أهمها ماهية مصطلح الاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم التطرق إلى نشأة الاستشراق الأمريكي، وإعطاء لمحة حول سمات وملامح الاستشراق الأمريكي من منظور الباحثين المعاصرين، والتطرق إلى منظور الاستشراق الأمريكي الموضوعي إلى إسهامات الحضارة العربية الإسلامية، وهذا من نماذج استشراقية منصفة على غرار: فرانتز روزنتال وول ديورانت، كما تم معالجة الجوانب السلبية في الاستشراق الأمريكي من خلال جانب التنصير لدى المستشرق الأمريكي صموئيل زويمر، وبيان الخلفية السياسية والثقافية للآراء الاستشراقية للمستشرق المخضرم برنارد لويس. وفي خاتمة البحث تم إيراد باقة من النتائج

والاستنتاجات ذات الصلة بموضوع البحث وجملة من الآفاق التي يمكن أن تفتحها هذه الدراسة، وفي آخر البحث قائمة المراجع المعتمدة.

مفهوم الاستشراق:

إن تحديد مفهوم الاستشراق من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية يشكل مدخلا ضروريا لاستيعاب فحوى الرؤى الاستشراقية الأمريكية، فما هو مفهوم الاستشراق من ناحية اللغة؟ وما هي الدلالات الجوهرية لمصطلح الاستشراق؟

أولا المفهوم اللغوي للاستشراق:

ينبغي للباحث الرجوع إلى معاجم اللغة لفهم الجذر اللغوي للاستشراق، ومن بينها معجم مقاييس اللغة لابن فارس؛ حيث جاءت فيه لفظة الاستشراق مشتقة لغة من الفعل (شَرَقَ) فالشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدلُّ على إضاءة وفتح، ومن ذلك (شرقت الشمس)؛ إذا طلعت، و(أشرقت) إذا أضاءت، والشروق طُلُوعها، و(أيام التشريق) سُمِّيت بذلك لأن لحوم الأضاحي تُشرق فيها للشمس. (ابن فارس أحمد،1979 : 264)

ثانيا المفهوم الاصطلاحي للاستشراق:

اختلف الباحثون العرب والمسلمون في تحديد المفهوم الاصطلاحي للاستشراق، فما هي الجوانب التي شكلت جوانب الائتلاف وما هي أبرز جوانب الاختلاف الموجودة بينها؟ وما هو موقف رواد المستشرقين من مصطلح الاستشراق بصفة عامة والأمريكيين بصفة خاصة ؟

يعتبر التعريف الأعم للاستشراق هو دراسة الشرق، ثقافته ومعتقداته، آدابه، عاداته، تقاليده، أساطيره، تاريخه، مِن قِبَل علماء ومؤسسات غربية (زقزوق محمود ،1997 : 18) ولكن التعريف الذي يعنينا وينصرف إليه الذهن في العالم العربي الإسلامي هو المفهوم الخاص للاستشراق، وحدده الباحث علي إبراهيم النملة بأنه"دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين، عقائدهم، ثقافتهم، تراثهم، أساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسسات غير مسلمة."(النملة علي ، 1992 : 523-524) وبناء على ذلك فإن غير المسلم المشتغل بعلوم المسلمين وآدابهم وتراثهم وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم يُعد مستشرقا، وذلك لأن المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قِبل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام. فتكون كتاباتهم موضع نظر، وتخضع لشيء من التحليل والدراسة والنقد والأخذ والرد.(النملة علي ، 2011 : 26) ويقرب من هذا التعريف الأشمل تعريف عدنان بن محمد وزان، حيث ينص على أن الاستشراق هو"مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة. "(وزان عدنان، 1984: 15)

وأورد الباحث الأكاديمي والمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد عدة تعريفات جوهرية للاستشراق، يحسن بنا إيرادها، فيرى بأنه عبارة عن "أسلوب للخطاب أي للتفكير وللكلام، تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث

علمية، وصور ومذاهب فكرية، بل وبيروقراطيات استعمارية وأساليب استعمارية."(سعيد إدوارد،2006: 44)

وبالتالي فالمستشرق حسب إدوارد هو"كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء بحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثربولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة." (سعيد إدوارد، 2006 : 44) كما نجد من يميل إلى بيان أهداف وغايات الاستشراق ضمن التعريف بقوله "أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه." (سعيد إدوارد، 2006 : 45 – 46)

وبخصوص موقف المستشرقين من المصطلح، فإنه يعتريه قدر من الغموض، إلى درجة الرغبة في التخلص منه ورميه- على رأي المستشرق برنارد لويس- في مزبلة التاريخ، أو بتعبير آخر - لبرنارد لويس نفسه- في مزابل التاريخ لكونه أضحى مصطلحا مشؤوما.

وبدأ هذا التوجه في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عُقد بباريس في تلك السنة وذلك بمناسبة مرور مائة عام على انطلاق مؤتمرات المستشرقين، والذي عُقد بباريس في تلك السنة، ولكن المفكر إدوارد سعيد يرى بأن الاستشراق لا يزال حيًّا في الحياة الأكاديمية بما أرساه من مذاهب وقضايا فكرية بشأن الشرق والشرقي. (سعيد إدوارد، 2006 : 45)

وفي ضوء ما سبق ، فإذا قمنا باسستعراض كل المفاهيم التي تم إيرادها حول الاستشراق، فإنه يمكن حوصلة مغزاها في كون الاستشراق عبارة عن تلك الدراسة المتقَصِّية المتنوعة والمتعددة الأغراض، والتي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته، وكل منحى من مناحي حياته، مهما كان الغرض والدافع إلى هذه الدراسة سواء أكانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية.(الحاج ساسي، 2002 : 16-20) ويتضح من خلال ما تقدم أن الحقيقة التي توصل إليها إدوارد سعيد من خلال متابعة الحركة الاستشراقية والحفر في خطاباتها هي أن الأدوات التي استخدمها الاستشراق وإن بدت في ظاهرها و ذاتها صالحة لأغراض علمية ، فإن الغرب قد سخّرها لخدمة أغراضه الاستعمارية وأهدافه الإمبريالية.كما نستنتج أن المعيار الرئيس في تحديد المقصود بمصطلح الاستشراق - بوجه خاص- هو الكتابة والدراسة الأكاديمية للحضارة والتراث العربي الإسلامي .

نشأة الاستشراق الأمريكي:

يعد البحث في نشأة الاستشراق أمرا ضروريا للباحث في الدراسات الاستشراقية ؛ حتى يتسنى له فهم العلاقة بين الغرب والشرق ،ومن أبرز التساؤلات التي ترد في هذا الصدد : ما هي الجذور التاريخية لنشأة الاستشراق الأمريكي ؟

لقد اكتسب الاستشراق صفة عملية تنفيذية منذ انعقاد مجمع فيينا الكنسي عام 1312 م؛ فقد أوصى هذا المجمع بتأسيس كَرَاسٍ للأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية، وذلك في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وغيرها. وهذا في خصوص ما يُمكن تسميته بالاستشراق الرسمي.(زقزوق محمود،1997: 18)ولكن الظاهرة الاستشراقية تعود إلى تاريخ أقدم من ذلك، فهي قديمة قِدَم العلاقات بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي. (طاع الله محمد، 2015 : 20) ويميز الدارسون بين ومنهم الباحث الأكاديمي والمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد بين مرحلتين كبيرتين في تاريخ الاستشراق؛ هما مرحلة الاستشراق القديم الذي يعود إلى القرون الوسطى، ومرحلة الاستشراق الحديث الذي يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، والتي شهدت نهضة استشراقية و ذلك بالنظر إلى ما تراكم فيها من فعاليات وأعمال وأعلام في حقل الاهتمام بالشرق وثقافته. (طاع الله محمد، 2015 : 21)

وبخصوص جنسيات المستشرقين أو بالأحرى كبرى المدارس الاستشراقية من حيث السبق التاريخي؛ فقد شهد الاستشراق مرحلة أولى كانت السيطرة فيها لبريطانيا وفرنسا، ثم بعد الحرب العالمية الثانية برز الدور الأمريكي بقوة بحكم النفوذ الجديد الذي بدأت أمريكا تمارسه في الشرق. (طاع الله محمد، 2015 : 21) وقد كانت باريس خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر عاصمة الاستشراق، وبعد ذلك شهدت

مؤسسات الاستشراق تناميا ملحوظا خلال القرن التاسع عشر فتعددت الجمعيات على غرار الجمعية الآسيوية، والجمعية الملكية الآسيوية، والجمعية الألمانية للدراسات الأجنبية، والجمعية الاستشراقية الأمريكية، كما تنامى عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية بالجامعات الغربية. كما أن الوسائل المتاحة لنشر الاستشراق قد توسع مجالها هي أيضا بشكل ملحوظ فتضاعف عدد دوريات الاستشراق بدءً من مجلة مناجم الشرق سنة 1809، مما ساهم في تنامي كمية المعرفة وتعدد التخصصات.(طاع الله محمد، 2015 : 22)

وعلى الرغم من اعتبارنا الاستشراق علما من العلوم الإنسانية، فإنه لا يتمتع كباقي العلوم الأخرى بصفات الديمومة والثبات والاستقرار، ومن هنا أطلق عليه أحد الباحثين اسم"الظاهرة"؛ لأن الاستشراق مر بمراحل متعددة من دينية إلى سياسية إلى علمية وفي كل مرحلة يتسم بخصائص مخالفة للمرحلة التي تليه تبعا للأغراض التي يتناولها، والموضوعات التي يدرسها، وعندما وصل إلى المرحلة الأخيرة من تطوره تناقصت موضوعاته، وانتهت أغراضه، ولم يعد هناك من جديد يُقَدِّمه، فهو بذلك لا يتصف بصفة الاستمرار والثبات، ولكنه عبارة عن ظاهرة نمت وازدهرت وتطورت في ظروف معينة لأغراض معينة، حتى انتهى دورها وتقلصت آثارها وضاقت حقولها ومجالاتها، وأصبح الاستشراق في الوقت الحاضر على وشك الزوال النهائي خاصة بعد زوال صناعه

المتميزين بالدراسة العميقة والصبر الجميل والتضحية الجمة، ولم يبق لنا اليوم إلا بعض المستعربين الذين توظفهم بعض الشركات النفطية.
(ساسي سالم الحاج، 2002 : 22)

وقد نشأ الاستشراق الأمريكي في أوائل القرن التاسع عشر، وكان اهتمام الولايات المتحدة بدراسة اللغة العربية يرجع في أساسه إلى محاولة فهم اللغة العربية لفهم التوراة، وإدراكهم ما للعربية من أهمية بما احتوته من تراث إنساني في مضمار العلم والمعرفة، وكان الاهتمام الأمريكي قد انصب منذ البداية على الحملات التبشيرية التي قذفت بها إلى الشرق للتبشير بالمسيحية. (الحاج ساسي، 2002 : 152) ويتوافق الاستشراق الأمريكي في نشأته مع النشأة العامة للاستشراق في كونه انطلق من الأديرة والكنائس؛ فهناك ما يقارب من العشرين من مجموع طلائع المستشرقين الأوائل المقدر عددهم بتسعة وعشرين انطلقوا من الكنيسة والرهبنة، واثنان من التسعة والعشرين ذوا خلفية يهودية، ولكنهما تنصرا وانضما إلى الرهبنة. (النملة علي إبراهيم،2011: 22)

وانطلاق الاستشراق من الكنائس والأديرة يؤكد الخلفية الدينية التنصيرية للاستشراق في غالبه، ويقول المستشرق يوهان فوك في هذا الصدد:"ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن الكريم، واللغة العربية."(يوهان فوك، 2001: 16- 20) وأول بعثة تنصيرية أمريكية وصلت إلى لبنان عام 1830 م، وأنشأت أول مدرسة لتعليم البنات داخل الإمبراطورية العثمانية،

وتطورت هذه المدرسة بحيث أصبحت تعرف بالكلية السورية الإنجيلية عام 1866م، واتخذت من مدينة بيروت مقرًّا لها، ثم اتسعت هذه الكلية و أصبح يطلق عليها اسم الجامعة الأمريكية التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا. (الحاج ساسي ، 2002 : 152- 153)

وتمارس الجامعة الأمريكية ما أُسست من أجله في التنصير، ونشر الثقافة الغربية، ومحاربة اللغة العربية والإسلام، ولم يكن لهذه الجامعة أية أهداف علمية منذ نشأتها إلى الآن.

منظور الباحث إزاء الاستشراق الأمريكي المنصف

تتفاوت نظرة الباحثين والنقاد المعاصرين إلى ظاهرة الاستشراق عموما والاستشراق الأمريكي خصوصا، فهل تحرى الاستشراق بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة الإنصاف في دراساته لمنجزات الحضارة العربية الإسلامية ؟

لا ريب أن هناك نظرة سلبية لظاهرة الاستشراق حجبت عن العيون والأذهان الجوانب الإيجابية المُشْرِقَة للاستشراق في خدمة التراث، وأصبح مِنَ المتعذر على بعض المتابعين أن يقبل أي معلومة، ولو صحيحة، مادامت صادرة من مستشرق، أو منقولة عن مستشرق، دون أن ترتفع الحواجب مُعربة عن الشك في هذه المعلومة، ولو كانت صحيحة. وهذا الموقف لا يتوافق مع النظرة الإسلامية للحكمة بغض النظر عن مصدرها البشري والجغرافي والزماني. (النملة علي،2003: 15- 16)

وبناء على ما تقدم فقد تقرر في منظور ثلة من الباحثين والمحققين المعاصرين العرب والمسلمين وعلى رأسهم الباحث المتخصص في الدراسات الاستشراقية علي بن إبراهيم النملة أن للمستشرقين أثر ودور واضح في خدمة التراث العربي الإسلامي منذ أن "استقام عود الاستشراق وتَحَوَّلَ مِن مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيانها ومدارسها وفئاتها ومنطلقاتها وأهدافها، وهذا في الوقت الذي تأخر فيه العرب والمسلمون عن خدمة التراث خدمة مادية وعلمية، حتى خُشِيَ على ضياعه بينهم، عندما أصبح في كثير مِن دُورِ الكُتُب قِطَعًا مَتْحَفِيَّة تُبَاعُ خِفْيَةً لمن يدفع أكثر، أو يُبسط بها في الأسواق العامة، وعلى قارعة الطريق هذا في أحسن الأحوال، ومن أسوأ الأحوال أن تُمَزَّقَ أوراق المخطوطة وتكون وعاءً لنقل المادة المشتراة مِن الحلوى والبقول!" (النملة علي ، 1996 : 20)

ويبرز الباحث نجيب العقيقي صاحب موسوعة المستشرقين القيمة إيجابيات المستشرقين بأنهم قد:" تناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة، ولم يقفوا منه عندها، فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، وإنما عمدوا إلى درسه وتحقيقه، ونشره وترجمته، والتصنيف فيه، في منشئه وتأثره وتطوره وأثره، وموازنته بغيره، واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه، منذ مئات السنين، وفي شتى البلدان، وبسائر اللغات مبلغا عظيما من العمق والشمول

والطرافة، وأصبح جزءا لا ينفصل من تراثنا...فإن نحن طوينا هذا الجهد تنكَّرنا للأمانة العلمية في البحث عن الحقيقة الموضوعية." (العقيقي نجيب ، 1964 : 07– 08)

ويؤكد المحقق محمد كرد علي على مزايا الاستشراق بقوله :"لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، ومعجم ما استعجم....ولجهلنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا، ولو جئنا نعدد حسنات دواوين الشعر أو كتب الأدب والعلم التي أحيوها لطال بنا المطال...والمقصود بين تلك المزايا، والإشادة بالأيادي البيضاء التي أسداها القوم لآدابنا." (محمد كرد علي،1927 : 455)

بل يمكن القول إن من المستشرقين من وقف نفسه على خدمة التراث العربي الإسلامي، ونأى بنفسه عن الولوج في أي مشروع يراد منه الإساءة للإسلام وأهله بأي شكل من أشكال الإساءة، وإن لم تخل خدماته من الإساءة التي يُتوقع منها أن تكون غير مقصودة، وإنما أدَّى إليها سوء فهم، أو سوء سيطرة على اللغة، أو سوء اتّكاء على الرواد المستشرقين، وللمحقق المصري محمود محمد الطناحي عشر ملحوظات على منهج المستشرقين في نشر التراث العربي، ومجمل هذه الملحوظات تتلخص في أن المستشرقين اتخذوا ثلاث اتجاهات في نشاطهم: نشر النصوص والتعريف بالمخطوطات ودراسة الفنون وأعلام التراث. (الطناحي محمود، 1984: 216– 230)

أولا المستشرق الأمريكي فرانز روزنتال أنموذج الإنصاف :

أسهم المستشرق فرانتز روزنتال في مجال نشر وترجمة عدد من النفائس العلمية للتراث العلمي الإسلامي المتعلقة بمنهج البحث العلمي عند العلماء المسلمين بصفة عامة.

يعتبر كتاب مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي من المؤلفات التي تبرز تثمين المستشرق فرانتز روزنتال للتراث العلمي العربي الإسلامي المتعلق بمنهج البحث وطرائقه وآدابه؛ وقد قسّمه مؤلفه إلى أربعة أقسام وسمّى المقدمة قسما أولا، وخصص القسم الثاني لقضايا التحقيق أساسا، وقواعد ضبط المخطوطات، كما يراها القدماء من علماء المسلمين، مستمدا مادّته العلمية من كتب علماء الحديث، خاصة كتاب المعيد في أدب المفيد والمستفيد لعبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي المتوفى سنة 981 هـ، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة المتوفى سنة 766 هـ، كما استفاد من نصوص أخرى لعلماء آخرين، من مُحدّثين، وفقهاء ، ومؤرخين وأدباء، وقد استغرق هذا القسم من الكتاب نصف الكتاب تقريبا، أما القسم الثالث فخصصه لطرق المعالجة النقدية، حيث ذكر اهتمام المسلمين بضبط الأسانيد، والدقة في النقل و قضايا الوضع والسرقات الأدبية وروح النقد لديهم ونظرتهم إلى الثقات، وأما القسم الرابع والأخير، فقد تحدث فيه عن البحث العلمي من حيث تطوره وتقدم أساليبه عند المسلمين، وتجديدهم، فيما ورثوه عن الأمم السابقة، وما يتعلق بذلك من المسائل

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

والمعاني. و نظرا لأهمية هذا الكتاب فإن الباحث المعاصر فريد الأنصاري بدأ به في كتابه أبجديات البحث في العلوم الشرعية نظرا لما احتواه من مباحث نفيسة قيمة خصوصا في الجانب المتعلق بأصول تحقيق المخطوطات عند العلماء المسلمين. (الأنصاري فريد، 1997 : 12) ومن بينها على سبيل المثال المعلومات والفوائد الإضافية التي يقع عليها العالم الناظر في المخطوطات، فإلى جانب كونها تتضمن متن المصنف، فقد كانت تحتوي على معلومات وفوائد إضافية ذات قيمة عظيمة للعالم، فقد توجد كثيرا على حواشي المخطوطات نظرات قيمة في النقد، تتأكد أهميتها في جانب تحقيق النصوص التراثية. (روزنتال فرانز ، 1961 : 56 – 58) و من الآداب التي حظيت بإشادة المستشرق فرانتز روزنتال هي آداب تصحيح النص واحترام الرواية (روزنتال فرانز ، 1961 : 60 – 61)و في عصر المخطوطات كانت الدقة والأمانة في النسخ من الشروط الأساسية التي يجب توفرها. (روزنتال فرانتز ، 1961 : 62).

وفي جانب آخر منصفا للتراث الإسلامي، ومبرزا لأهمية الكتاب في الحضارة العربية الإسلامية ركَّز المستشرق فرانز روزنتال على الباب السادس المهم من كتاب (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) للعلموي، والباب الرابع من كتاب (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم)، والموسوم بالأدب مع الكتب التي هي آلة العلم، وما يتعلق بتصحيحها وضبطها ووضعها وعملها وشرائها .

أما الكتاب النفيس الآخر فهو كتاب علم التأريخ عند المسلمين، ويعتبر من المؤلفات الاستشراقية المهمة في مجال منهجية البحث التاريخية، وقد أشاد به عدد من المختصين ومن بينهم الأستاذ شاكر مصطفى حيث اعتبره " أول وأهم دراسة علمية جِدِّيَّة مُوّسَّعة في علم التاريخ العربي صدرت حتى الآن سواء بالعربية أو باللغات الأجنبية، وقد استند روزنتال في كتابة هذا المؤلف إلى قاعدة واسعة من الإطلاع على مختلف المؤلفات التاريخية العربية، ومنها كمية واضحة من المخطوطات واستخدم تلك المادة استخداما ناجحا جدا في تنظيم البحث واستخلاص النتائج راسما بذلك لعلم التاريخ من الداخل، ومن خلال المؤلفات التاريخية ملامحه الرئيسة."(مصطفى شاكر، 1983 : 37)، ومن أقواله التي أثنى فيها على هذا الكتاب :" وقد أقام المؤلف – أي السخاوي- بهذا الكتاب نُصبًا قيما لعلم التأريخ العربي، والكتاب كما يدل عليه العنوان، كان ذا صفة اعتذارية، وقد كتب للدفاع عن دراسة التاريخ كموضوع ثقافي مساعد في مناهج الدراسات الدينية، والتاريخ بهذا المعنى يفصل الإشارة إلى بحث نواح معينة من سير علماء الدين."(روزنتال فرانز،1986:05)"وكتاب السخاوي يبقى عرضا جميلا لعلم التأريخ الإسلامي وآماله ومعضلاته، لمن يعرف كيف يقرأه، فهو صورة مضبوطة لإنجازاته النهائية، ولمواطن فشله."(روزنتال فرانز، 1986 : 06)

ويقرر فرانز روزنتال أصالة نمط الطبقات في التدوين التاريخي الإسلامي بقوله:" إن تقسيم الطبقات إسلامي أصيل، وقد يبدو أنه أقدم تقسيم زمني وُجد في التفكير التاريخي الإسلامي، وليست له أية علاقة في الأصل بطريقة الترتيب تبعا للسنين التي كانت مألوفة في تقاليد التراجم الإغريقية، ودخلت الأدب العربي في زمن متأخر مع التراجم الإغريقية." (روزنتال فرانز، 1983 : 133-134)

ثانيا المستشرق الأمريكي وول ديورانت أنموذج ثانٍ لإنصاف إبداع منجزات الحضارة العربية الإسلامية :

يلمس الباحث هوة كبيرة فيما كتبه الغربيون عن تاريخ الحضارة الإنسانية، فلقد كتبوا عن منجزات الحضارة الصينية والهندية، وأطنبوا في حديثهم عن (المعجزة اليونانية)، ولأسباب سياسية، أو دينية تعصبية ، أهملت الحضارة العربية الإسلامية مِن قِبَلهم، ولم تُعْطَ حقَّها بحياد وموضوعية، مع أن المنهج العلمي في البحث كافٍ لإنصاف الحضارة العربية الإسلامية، وتصويب ما كتبوه، وإنهاء النظر إلى الحضارة اليونانية على أنها حضارة أصيلة مُعجزة؛ لأن الحضارة العربية القديمة في بلاد الرافدين، وبلاد الشام، ووادي النيل، كانت نواة الحضارة اليونانية. ولكن في المقابل ظهرت فئة من المستشرقين الأمريكيين المنصفين، الذي أخذوا على عاتقهم مهمة الإنصاف للحضارة العربية الإسلامية و من بينهم المستشرق جورج سارتون و وِل ديُورانت . (أبو خليل شوقي، 1992 : 10- 11)

وكتاب قصة الحضارة أنصف فيه المستشرق الأمريكي ول ديورانت الحضارة العربية الإسلامية، وأشاد بفضلها، وأوضح ما كان لها من أثر خالد في حضارة أوربا والعالم أجمع، وما يدين به العالم الحديث لهذه الحضارة، ثم يعتذر في آخر الجزء المذكور عن تقصيره. (ول ديورانت، 1992 ، ج01 : 10- 11) وتتناول قصة الحضارة أخبار الغابرين، ودراسة التجارب التاريخية للأمم السابقة، والهدف منها الاستفادة من تجارب الشعوب، وتحاشي السبل التي انتهجوها فقادتهم إلى مهاوي الهلاك، وكتاب قصة الحضارة في أجزائه الاثنين والأربعين، سفر نفيس، يغني مقتنيه عن عشرات الكُتب، فهو من الكتب العالمية المتميزة التي ألفت في هذا القرن (ول ديورانت، 1992: 10- 11) ومما ينوه عليه في هذا المقام أن الحضارة بساط نسجته وتنسجه أيدٍ كثيرة، كلها تهبه طاقاتها، وكلها تستحق الثناء والتقدير، ولا ننكر أن الحضارة العربية الإسلامية في جانبها العلمي اعتمدت في نموها وازدهارها على حضارات سبقتها، ولكنها – دون شك – واصلت العطاء، وقدمت إلى بساط الحضارة أكثر مما طُلب منها، ويقول في هذا الشأن وليم أوسلر:" لئن أشعل العرب سراجهم من ثقافة اليونان، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا شُعلة وهاجة، استضاء بنورها أهل الأرض. " (ول ديورانت، 1992، ج01 : 11)

ومن أقوال ول ديورانت المنصفة للتاريخ والحضارة الإسلامية :" لم تنعم الأندلس طول تاريخها بحكم رحيم، عادل، كما نعمت به في أيام

الفاتحين العرب. ذلك حكم يصدره مستشرق مسيحي عظيم. " و هو أستاذه المستشرق ستانلي لين بول منقول عن كتابه حكم المسلمين في إسبانيا.(ول ديورانت، 1992 : 292) و يقول ديورانت في موضع آخر نقلا عن المقري" مئات الشواهد الدالة على عدل حكام الأمويين، وجُودهم و دماثة أخلاقهم. " (ول ديورانت، 1992 ، ج13 : 292)

ثالثا **المستشرق الأمريكي مايكل هارت أنموذج لإنصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم** (Michael H. Hart)

ولد المستشرق مايكل هارت سنة 1932 م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون عام 1972 م، وهو أحد أعضاء الجمعية الفلكية وفروعها في علوم الكواكب، وأحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية، وقد نشر ما يكل هارت في سنة 1978 كتابه الشهير: الخالدون المائة: ترتيب للأشخاص الأكثر تأثيرا في التاريخ، والكتاب يعتبر علامة فارقة في الدراسات الغربية حول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكثرها إنصافا و عدلا في الحكم على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجب أن يتبوأها، فقد وضع مايكل هارت النبي صلى الله عليه وسلم في المرتبة الأولى ضمن أكثر الشخصيات تأثيرا في التاريخ،و قد كان لهذا الاختيار ما يُسوغه كما بين ذلك في مقدمة حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم (العمري رياض ، 2015 : 201-202) ، ويقول مايكل هارت:" لقد اخترت محمدا صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار و معهم حق

في ذلك ، ولكن محمدا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي. وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائدا سياسيا و عسكريا و دينيا، وبعد 13 قرنا من وفاته، فإن أثر محمد- صلى الله عليه وسلم – ما يزال قويا متجددا." (هارت مايكل، د.ت: 13-14)

الاستشراق الأمريكي والتنصير :

هناك كثير من الدراسات المعاصرة التي سعت إلى تأكيد العلاقة بين الاستعمار والتبشير والاستشراق، ومن بينها كتاب عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني الموسوم ب"أجنحة المكر الثلاثة"(الميداني عبد الرحمان ، 2000: 160) ، وكذا الأديب المحقق محمود شاكر الذي اعتبر المستشرقين أهم وأعظم طبقة تمخَّضت عنها اليقظة الأوربية، مع ارتباطهم بالكنيسة المسيحية لأنهم "جند المسيحية الشمالية (...)تتوهج أفئدتهم نارا أعتى من كل ما في قلوب رهبان الكنيسة." (شاكر محمود، 1987 : 48- 49) ولكن سمة التنصير المصاحبة للاستشراق لم تكن لتتبدى لكل شخص، إلا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ لأنهم يخفون مقاصدهم ومخططاتهم التنصيرية، مع قدرة خارقة على مخالطة أهل الإسلام في ديارهم، وتعلو وُجُوههِم سمة البراءة و طبع اللين والتواضع وسلامة الطوية والبِشْر. (شاكر محمود، 1987: 48- 49)

وبالتالي لم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين، فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة من أدوات التبشير – ثم استغل في مرحلة لاحقة- لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية.وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بغرض التبشير وتدريب المبشرين على ممارسة عملهم في بلاد المشرق الإسلامي . فتحققت بذلك مقولة أن "الاستشراق وُلِد من أبوين غير شرعيين هما الاستعمار والتنصير" ويجد المرء أهداف المنصرين واردة في أعمال المستشرقين التي لاقت رواجا كبيرا بين المنصرين في إرسالياتهم وجامعاتهم التي تم إنشاؤها في العالم الإسلامي على شكل مناهج ودراسات في تخصص الإنسانيات. (النملة إبراهيم، 1990: 246)

ويتضح مما تجمّع من مادة علمية، أن الاستشراق جاء ليصقل التنصير- مع الأخذ في الحسبان وجود تيار استشراقي منصف – ويكون له "مركز المعلومات والبيانات" الذي يُمِدُّه بما هو محتاج إليه، قبل أن يُقدم على مجرد التخطيط، ومن النماذج الحيوية على هذا الارتباط الوثيق في الاستشراق الأمريكي صامويل زويمر (Samuel Marinus Zwemer) (1867 – 1952 م) وهو مستشرق ومُنَصِّرٌ في آن واحد، وقد أصدر دورية كاملة يستعين بها المنصرون على أداء مهامهم في العالم الإسلامي الذي بدت عليه الاستحالة في التحول إلى النصرانية، فيُعلنها زويمر نفسه أنه ليس الغرض من حملات التنصير في العالم الإسلامي، أن يتحول المسلمون إلى نصارى، فقد أثبتت التجارب استحالة هذا، لكن مهمة

التنصير في هذا القسم هو أن يتحول المسلمون عن الإسلام وكفى! وقد صرح بهذا في مؤتمر القدس التنصيري المنعقد عام 1935م.(عميرة عبد الرحمان، د.ت : 35-36)

ويصعب أن تقوم حركة تنصير في بيئة ما دون معرفة هذه البيئة معرفة شاملة، ثقافية ودينية وتاريخية وجغرافية واجتماعية، وتتأتّى هذه المعرفة عن طريق الاستشراق، حتى أن احد الكاتبين أراد أن يقسم التنصير إلى عدة أنواع أولها التنصير الصريح؛ والذي يكون بالنقاش العلمي، أو ما يطلق عليه مسمى السوفسطائي التشكيكي، وهو ما جاء عن طريق المستشرقين، وهناك نوع ثان يتمثل في التنصير بالعنف؛ وهو ما جاء عن طريق الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، أما النوع الآخر فهو التنصير المختفي أو الخفي ويكون عن طريق الإرساليات الطبية والتعليمية والفنية والجمعيات الخيرية والاجتماعية وغيرها، (النملة علي، 1990 :243-245) وقام بمهمة الاستشراق المتعلق بالتنصير- في قسمه المتعلق بالإرساليات- المستشرق ورئيس المبشرين في الشرق الأوسط صمويل زويمر، وقد تولى تحرير مجلة عالم الإسلام، التي أنشأها مع ماكدونالد، وله مصنفات في العلاقات بين المسيحية والإسلام، وله كتاب بعنوان العالم الإسلامي اليوم، جمع فيه طائفة من التقارير والمباحث التاريخية والاجتماعية، مما كتبه المبشرون عن أحوال المسلمين القاطنين في مناطقهم التبشيرية، وخلاصة عن أعمال المبشرين التي قاموا بها في مختلف البلاد، وما نتج عنها من ثمرات لصالح مهمة التبشير، كما جاء في مقدمة

الكتاب الإلحاح على ضرورة التبشير بين المسلمين، كما انتقد المؤسسات التبشيرية بأنها ارتكبت خطأ كبيرا بتركها المسلمين وشأنهم . (الميداني عبد الرحمان، 2000: 67)

و تجدر الاشارة إلى أن باقي مضامين مؤلفات المستشرق المبشر صمويل زويمر : "أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية كما ذهب إلى ذلك الباحث نجيب العقيقي في مؤلفه الموسوعي حول الاستشراق والمستشرقين." (نجيب العقيقي،1964: 1005)

وأما الشخصية الاستشراقية الأمريكية الأخرى التي أدت دورا مهما في التنصير المرتبط بالاستشراق فهو المستشرق ماكدونالد،وكان شديد الارتباط بالتنصير، وفي إعداد المبشرين في مدرسة كندي للإرساليات التبشيرية، وإنتاجه العلمي الاستشراقي يتسم بالوضوح في العرض، ولكنه حسب الفيلسوف عبد الرحمان بدوي خال من التعمق والتحصيل للباحث.(بدوي عبد الرحمان، 2015: 538)

المستشرق الأمريكي برنارد لويس و أنموذج الإجحاف في حق التاريخ و الحضارة الإسلامية :

يعد لويس من بقية الجيل الأخير من المستشرقين الكبار الذين لا يحدُّهم اختصاص مُعين في دراسة الإسلام، بالإضافة إلى ما يتميز به لويس نفسه من أسلوب أدبي جذاب وغزارة في الإنتاج، فكتاباته من الكثرة والتشعُّب والاتساع في التخصص مما يتطلب جهود فريق عمل لدراسته

وتتبع آثاره وآرائه في الجوانب الفكرية المؤثرة.(مطبقاني مازن، 2018: 16)

أ. **شبهة الأخذ من اليهود والنصارى في منظور برنارد لويس** :

يقول لويس:" تشير مشكلة خلفية الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من التساؤلات، فمن الواضح أنه كان موضع تأثر باليهودية والنصرانية و ذلك لأن فكرة التوحيد والعناصر الكتابية الكثيرة في القرآن تُثبت ذلك."، ويقول أيضا: "ولكن روايته للقصص الكتابية تشير إلى أنه قد حصل على معلومات الكتابة بطريقة غير مباشرة، ومن المحتمل أن تكون من التجار والرحالة اليهود والنصارى ... "(مطبقاني مازن، 2018: 32-33)

وللرد على هذا الرأي يمكننا القول بأن مسألة تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم باليهودية والنصرانية من الأمور التي خاض فيها المستشرقون كثيرا، ومن هؤلاء شبرنجر و نولدكه ، ويمكن الرد على هذه الشبهة في عدة نقاط: يجزم لويس أن هذه التأثيرات كانت واضحة، ولكن لم يحدد لمن؟ وكيف؟ و لم يقدم على ذلك أي دليل؟ كما أن التشابه الموجود بين القرآن والكتب السابقة ناتج عن أن مصدر الوحي واحد، ومع التشابه في الأصول فإن التحريف الذي حدث في الكُتب السماوية أخرج هذه القصص أو التشريعات عن طبيعتها السماوية،وجعلها أقرب إلى صنع البشر وتأليفهم. (مطبقاني مازن، 2018: 32-33)

ويرفض مالك بن نبي نظرية التشابه بين قصص الكتاب المقدس وبين القصص القرآني، مشيرا فيه أن هذه المسألة تتطلب افتراض وجود تأثير يهودي مسيحي في الوسط الجاهلي.وقد أكدت العديد من الدراسات التي أُجريت للكشف عن هذا التأثير في مكة عند البعثة بطلان هذا الافتراض، ووجدت "انعدام أي تأثير يهودي مسيحي في الحياة الجاهلية، وهو بالتأكيد ما أكده القرآن الكريم بقوة، وأيدته الأخبار المتواترة." (ابن نبي مالك ، 2000: 257) وزيادة على ذلك كله فهذا العصر الجاهلي خال تماما من الوثائق المخطوطة ذلك أن "ثروته الفكرية و أدبه الشعبي لم يُحفظا إلا بطريق الرواية الشافهة، ذلك الطريق الذي أوصل جوهر التراث إلى عصور الأدب و العلم الإسلامية، على أن القرآن يُعد حجة مخطوطة ذات وثوق تاريخي لا يقبل الجدل."(ابن نبي مالك ، 2000: 256)

ومن المعروف أيضا أنه لم توجد ترجمة عربية للكتاب السابقة في عهود الإسلام،مما جعل الغزَّالي في القرن الخامس الهجري يعود إلى مخطوط قبطي ليكتب ردَّه على النصارى، وبهذا يقول: " لو أن الفكرة اليهودية المسيحية كانت قد تغلغلت حقا في الثقافة والبيئة الجاهلية، فإن من غير المفهوم ألا توجد ترجمة عربية للكتاب المقدس." (ابن نبي مالك ، 2000: 258) " وهكذا لم تكن توجد ترجمة عربية للإنجيل في عصر الغزالي، فمن باب أولى لم يكن يوجد مثل هذه الترجمة في العصر الجاهلي. " (ابن نبي مالك ، 2000: 259)

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

ب. التشكيك في وقائع التاريخ الإسلامي وأصالة الحضارة العربية الإسلامية

نال موضوع الفتوحات الإسلامية اهتماما كبيرا من المستشرقين، ولم يكن لويس بدعا في ذلك، ولعل جذور الفتوحات الإسلامية تكمن في الرسائل التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء داخل الجزيرة العربية وخارجها، ويقف لويس عند رسالتي الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وهرقل موقف المشكك قائلا: "اختلف العلماء فيما إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد فكر في فتح الإمبراطوريتين وإدخالهما في الإسلام على أنه ما مِن شَكٍّ في أنه بدأ العمليات التي من شأنها تحقيق ذلك إلى حدٍّ كبير." (مطبقاني مازن، 2018: 139 – 140)

وفيما يتعلق بمصداقية وجود هذه الرسائل؛ فقد ظهرت بحوث ودراسات عديدة تثبت وجود هذه الرسائل، ومن هذه الدراسات ما كتبه عز الدين إبراهيم مصطفى عن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل حيث أثبت بالفحوص العلمية المخبرية لنوعية الجلد، ولعمره، ولنوع الحبر المستخدم، وقد تمت هذه الفحوص في المتحف البريطاني، كما درس الباحث مازن بن صلاح مطبقاني متن الرسالة وسندها، وتبين له أن الرسالة قديمة جدا،ويزيد عمر الجلد على ألف عام، كما أشار المحقق قاسم السامرائي إلى ما كتبه المستشرق يلين في المجلة الآسيوية عن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، التي وجدها المستشرق

الفرنسي ايتيان بارتيليمي(Jules Barthélemy-Saint-Hilaire) في إخميم من صعيد مصر عام 1850م، معلنا أصالة الوثيقة. (مطبقاني مازن، 2018: 141)،كما ظهرت دراسات لمحمد حميد الله نشرها في دوريات متعددة، ثم جمعها بكتاب أثبت فيها وجود العديد من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الرسائل على سبيل المثال رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كل من المقوقس ،والمنذر بن ساوي العبدي عامل كسرى على البحرين، وكسرى .كما أورد حميد الله بعض إجابات من أرسلت الرسائل إليهم مع صور فوتوغرافية لهذه الرسائل.

وعلق المحقق السامرائي على أسباب إنكار هؤلاء المستشرقين رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة بأنه ناتج عن منطق مكرور خال من التجرد والموضوعية اللذين يتصف بهما العالم،وعلى مدى اتصاف العالم بهما فإن رأيه مقبول ومعتبر،وإلا فهو مكابر ومرفوض،لا يؤبه برأيه وحكمه المعلول. (مطبقاني مازن، 2018: 32) وإنكار لويس لهذه الرسائل ليس مبنيا على أساس من تثبت علمي بعدم وُجُودها،ولكنه تجاهل تام لهذه الرسائل، رغم أن الأدلة على إرسالها وارد في العديد من المصادر،بل إن هرقل حينما وصلت إليه رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم بحث في بلاده على أحد من أهل مكة ليسأله عن حقيقة الأخبار،وهو لقاء أثبته البخاري في صحيحه؛حيث سأل فيه هرقل أبا سفيان عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وأخلاقه ودعوته وأتباعه.(مطبقاني مازن، 2018: 32)

و بخصوص التشكيك في أصالة الحضارة العربية الإسلامية، فيرى برنارد لويس أن الحضارة التي ازدهرت في "الإمبراطوريات" العربية و الإسلامية، والمعروفة بالحضارة العربية ليست من صُنع العرب الغزاة القادمين من الصحراء، ولكنها صنعت بعد الفتوحات بتعاون شعوب كثيرة مثل العرب والفرس والمصريين. ولنقد هذه الرؤية الاستشراقية لبرنارد لويس، فيمكن القول بأنه هناك عدد من المستشرقين من كان لهم نفس الفكرة ومن بينهم المستشرق جولد تسيهر ، والحقيقة التي لا جدال فيها أن أول من حمل مشعل الحضارة العربية هم العرب ، وقد كانت اللغة السائدة هي العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وقد شهد ثلة من المستشرقين الأمريكيين بانجازات الحضارة العربية الإسلامية كما سبق باينه ومن أبرزهم جورج سارتون، وول ديورانت، وحتى من المدارس الاستشراقية الأخرى على غرار غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب، و زيغريد هونكة وغيرهم كثير. (خليل عماد الدين، 1992 : 369)وإطلاق برنارد لويس لهذا التشكيك في الحضارة العربية الإسلامية هدفه هو نفس هدف أغلب المستشرقين الذين يُروجون لهذه الأفكار والآراء بأن العالم الإسلامي مدين في القديم للثقافة اليونانية، ومدين في الحديث للثقافات الغربية، كما هو مدِين للغرب اليوم في مجال العلوم والصناعات والكشوف الحديثة.(مطبقاني مازن، 2018 : 197)

ج.إغفال الحقائق التاريخية و تشويهها :

ومن الأخطاء المنهجية الأخرى في تناول لويس للتاريخ الإسلامي إغفاله للحقائق التاريخية وتشويهها، وعدم التوثيق، وإطلاق التعميمات غير المؤيدة بالبرهان والدليل، ومن إسراف لويس في إغفال الحقائق التاريخية ما كتبه عن موقف أهل المدينة من الرسول صلى الله عليه وسلم حيث زعم أن أهل المدينة جعلوه قاضيا، وفي النهاية حاكما، وبسبب هذا فإن تعاليمه قد تحولت إلى حد ما تحولا كبيرا، فهو هنا حسب مازن مطبقاني قد أغفل العنصر الإيماني، وهو أن أهل المدينة بسبب احتكاكهم باليهود وتطلعهم إلى ظهور نبي آخر الزمان، بالإضافة إلى اقتناعهم بالدين الجديد، وما يدعو إليه، كما أن أهل المدينة قد تلقّوا تعاليم الإسلام التي نزلت حتى ذلك الحين على يد أول داعية إسلامي،وهو مصعب بن عمير،...أما مسألة الإصلاح أو القضاء بين أهل المدينة فإن القوم قد ملوا من كثرة الحروب فيما بينهم، والتي كان اليهود سبب إثارتها، فكانت رغبتهم قوية أن يجمعهم الله على يد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك اليهود يحاولون إثارة الفتنة بين الأوس و الخزرج.(مطبقاني مازن ، 2018 : 245)

ومن أبرز الباحثين المعاصرين الذين تصدوا إلى نقد المستشرق برنارد لويس الباحث عبد اللطيف طيباوي، وأكد أن من أخطاء لويس المنهجية إغفاله لبعض الحقائق التاريخية والاهتمام ببعض الحقائق الأقل أهمية، ومن ذلك أن لويس حين زعم أن المؤرخين المسلمين قد صوَّروا صلاح الدين إما بصفة "إنسان قاسي القلب و مغامر طموح يهوى العظمة

الشخصية أو بصفة بطل الإسلام."وكان النقد الموجه لهذه العبارة من ناحيتين أولاهما أن الكتاب لم يقل كلمة واحدة حول شهرة صلاح الدين الأيوبي وسمعته التي لا تقل في الغرب عنها في الشرق بالرأفة والرحمة والإنسانية والفروسية المتمثل في المروءة والشهامة .(طيباوي عبد اللطيف، 1991: 110)

أما الثانية فإن لويس يورد ادّعاءات على لسان المؤرخين المسلمين بطريقة غير علمية، ويقول طيباوي أن لويس لم يشر إلى أيّ من هؤلاء المؤرخين المسلمين ، ولم يذكر أي اقتباس منهم، وهو المولع بسرد المصادر التفصيلية لتعزيز مقولته في أمور هي أقل درجة من الأهمية من القائد صلاح الدين الأيوبي، على غرار اسم شجرة الدر، و يبدو أنه الكاتب الغربي الوحيد الذي جرّد صلاح الدين الأيوبي بغفلة، وتعمد من صفاته النبيلة. (طيباوي عبد اللطيف، 1991 : 110 – 111) ويُرَجِّحُ الباحث مازن مطبقاني أن المستشرق برنارد لويس قد تأثر بآراء المستشرق هاملتون جب حول شخصية صلاح الدين الأيوبي حيث قال جب متسائلا:" هل كان صلاح الدين واحدا من أولئك القادة المحظوظين ممن لا يقف في طريقهم حاجز، ولا يحفزهم إلا الطموح الشخصي وشهوة الفتح، ولا يفعلون شيئا سوى استغلال الشعارات والعواطف الدينية في سبيل تحقيق أهدافهم." (جب هاملتون،1979: 122)

مآل الاستشراق الأمريكي:

استهوى فئة من المستشرقين الإعلام بمفهومه الحديث، الذي يعتمد على سرعة النشر، على حساب المعلومة الموثقة، ومن ثم يتكئ على المعلومة السريعة، التي قد تفتقر إلى التحليل العميق ، فيؤدي ذلك إلى الوقوع في فخ الإعلام، رغبة منهم في الشهرة والذيوع، فيتخلون عن المفهوم العميق للاستشراق التقليدي ويتبرؤون منه، ويرميه بعضهم في "مزبلة التاريخ" على حد تعبير برنارد لويس، ويصبح المصطلح عند هذه الفئة مشؤوما ويَلتفون عليه بألقاب علمية أخرى، ويعزفون عن الأبحاث في القضايا ذات الصلة بالتراث العربي الإسلامي، ويُنصبون أنفسهم خبراء في قضايا الأمة الإسلامية المعاصرة ، وعلى رأسهم المستشرق برنارد لويس، فيميلون في كتاباتهم إلى صفة"المستشار"و"الخبير"، وهذا بمنأى عن صفة المستشرق الأكاديمي الباحث الصرف، فيغذون بهذا الطرح صناعة الكراهية للثقافات الأخرى، بما فيها الثقافة الإسلامية .
(النملة علي، 2008 : 116-117)

ويستفيد الإعلام من هذه الخلفية في تذكية صناعة الكراهية بين الثقافات وإضفاء صورة نمطية غير حسنة عن الإسلام وحضارته وثقافته، وعن المسلمين، وغدت وسائل الإعلام تلاحق المستشرقين بالمقابلات والإسهامات الأخرى، كعرض رؤى المستشرقين وكتبهم، ويأتي هذا التدخل في النقاش العام على حساب التقاليد العلمية والأكاديمية الخالصة، بحيث ينزع بعض المستشرقين إلى هذا المنحى على حساب

المشتهر عنهم من عكوفهم العلمي، وترفعهم عن النظرات السطحية للقضايا الراهنة على غرار المستشرقة آنا ماري شمل الألمانية . (النملة علي، 2008 : 118)

ومن المظاهر التي آل إليها الاستشراق هو"استشراق الصحافة"، والذي يسعى إلى رفع المعلومة الصحفية إلى مصاف المعلومة الاستشراقية، فكأن الاستشراق الصحفي قد نزل بالاستشراق إلى المعلومة السريعة،و هو هاهنا هبوط استشراقي وسُمُوٌّ صحفي، ويشتكي عدد من المستشرقين الأكاديميين من هذه الظاهرة التي أصبحت تهدد مكانتهم، مع أنهم هم الذين أسهموا في هذه الظاهرة أو تأهيلها. (النملة علي ، 2008: 119)

ولا ننسى أن الاستشراق الأمريكي قد آل إلى ما يطلق عليه "صهينة الاستشراق" وهذا من خلال صناعة الكراهية بين الإسلام والمسلمين، ويبدو هذا التوجه باديا أكثر في أعمال برنارد لويس المنظر والمرجع الأول لفكرة صدام الحضارات، ولا تنسى جهوده في صهينة الاستشراق الأمريكي، إذ تحول الفكر الاستشراقي الأمريكي، حتى صار أكثر ارتباطا بالمشروع الصهيوني وأكثر استعدادا لخدمته، كما لا ننسى أثر تلاميذه الذين يقومون بتأجيج هذا البعد – أي صناعة الكراهية- من خلال الإسهام في ترسيخ وجود كيان لليهود في فلسطين المحتلة. (النملة علي، 2008 : 132- 138)

ويمكن القول بأن هذا المستشرق المخضرم يُعد ركيزة قوية من ركائز صناعة الكراهية بين المسلمين والغربيين ، ولا يكاد يمر نقاش حول

الاستشراق الجديد، وسيطرة الصهيونية على مراكز الاستشراق المعاصر، إلا ويأتي ذكر برنارد لويس. (النملة علي، 2008 : 139)

الخاتمة:

تعتبر المدرسة الاستشراقية الأمريكية امتدادا لعدد من المدارس الاستشراقية الأوربية الألمانية والبلجيكية وعلى وجه أخص المدرسة البريطانية .

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية مركز استقطاب شديد للعقول والكفاءات، بحكم توفرها على عدد من المؤسسات الأكاديمية أكثر من نظيراتها الموجودة في دول أوربا وبقية دول العالم، وهذا ما ساعد على استقرار عدد من المستشرقين الأوربيين في أمريكا وانخراطهم في مخططات الاستشراق الأمريكي.

أسهم عدد من المستشرقين في الولايات المتحدة الأمريكية في إنصاف الحضارة العربية الإسلامية على غرار المستشرق فرانتز روزنتال . وول ديورانت.

على الرغم من وجود العديد من الدوائر البحثية في البلدان الأوربية إلا أن عدد من المستشرقين الأوربيين آثروا التجنس بالجنسية الأمريكية والإسهام في دفع عجلة الاستشراق الأمريكي وهذا تحت خلفيات متعددة و مؤثرات متباينة منها حافز الطموح والتجديد ومكافحة الرتابة في الكتابة التاريخية، وهناك حوافز أخرى مادية بحتة .

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

لم يقتصر استقطاب أمريكا على الشخصيات الأوربية،بل هناك شخصيات عربية أخرى في دفع عجلة الاستشراق الأمريكي ومنها وذلك باهتمامها بجانب مهمة ألا وهو مجال البرديات، و هذا الأمر أدى بالباحث نجيب العقيقي إلى إدراجها ضمن قائمة المستشرقين الأمريكيين.

ارتبط الاستشراق الأمريكي في بداية نشأته الأولى بالتنصير في بلاد الشام، وبعد ذلك ظهرت هناك تحولات مهمة من أهم مظاهرها بروز فئة من المستشرقين الأمريكيين المنصفين للتاريخ والحضارة الإسلامية.

تحتوي المكتبات الجامعية الأمريكية على عدد من المخطوطات العربية الإسلامية و التي من شأنها إثراء المكتبة التاريخية والحضارية العربية بشتى المعارف والفنون.

مدى تأثير الاستشراق البريطاني على المدرسة الاستشراقية الأمريكية ، ومن أبرزها تأثيرات المستشرق البريطاني هاملتون جب على الأمريكي برنارد لويس.

تجلت لنا الإسهامات العلمية االتي تجسدت في المراجعات النقدية للباحثين العرب المسلمين للمحصول العلمي الاستشراقي ومن أبرزهم بلا ريب عبد اللطيف طيباوي، ومازن مطبقاني، وعلي إبراهيم النملة.

أما فيما يتعلق بالإشارة إلى **الآفاق** التي يمكن أن تفتحها النتائج المتوصل إليها، والتي يمكن أن تفتح **مسارات جديدة ومكملة للبحث المنجز فهي تتمثل أساسا في** توجيه الباحثين شطر تحقيق و نشر درر ونفائس

المخطوطات العربية الإسلامية الموجودة التي تزخر بها مكتبة جامعة برنستون .

تخصيص عدد من الندوات والأيام لتناول تفعيل حوار حضاري معاصر بناء ومثمر مع المفكرين الغربيين حول قضايا إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في إثراء منجزات التاريخ الإنساني.

البحث في جهود المرأة العراقية الأصل نبيهة عبود التي أسهمت في إثراء الدراسات الاستشراقية الأمريكية.

قائمة المراجع:

ـ الأنصاري، فريد، (1997). **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط1. الدار البيضاء: منشورات الفرقان.

ـ باز، عبد الكريم، (1983). **افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي**، ط1. جدة: دار تهامة.

ـ بدوي، عبد الرحمان، (2015). **موسوعة المستشرقين**، ط5. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـ البهي، محمد، (د.ت). **المبشرون و المستشرقون في موقفهم من الإسلام**، ط1. القاهرة: مطبعة الأزهر.

ـ جب،هاملتون، (1979). **دراسات في حضارة الإسلام**،ترجمة إحسان عباس، ط3. بيروت: دار العلم للملايين.

ـ ابن جماعة، محمد ، (2012). **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، ط3. بيروت: دار البشائر.

ـ ديورانت، ول، (1992). **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران ، ط1. بيروت: دار الجيل.

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

ـ هارت ، مايكل، (د.ت). **الخالدون المائة**، ترجمة أنيس منصور، القاهرة: المكتب المصري الحديث.
ـ الزركلي، خير الدين ، (2002). **الأعلام**، ط15. بيروت: دار العلم للملايين.
ـ زقزوق،محمود،(1997). **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ط2. القاهرة: دار المعارف.
ـ حتي، فيليب، (1951). **تاريخ العرب المطول** ، ط1. بيروت: دار الكشاف.
ـ الحاج،ساسي، (2002). **الظاهرة الاستشراقية**، ط2. بيروت: دار المدار الإسلامي.
ـ حميش،بنسالم ، (2011). **العرب و الإسلام في مرايا الاستشراق**، ط1. القاهرة: دار المدار الشروق.
ـ طاع الله، محمد، (2015). **خصومة الاستشراق الخطابات والرهانات** ، ط1. تونس: مجمع الأطرش للكتاب المختص.
ـ الطناحي، محمود، (1984). **مدخل إلى نشر التراث العربي** ، ط2.القاهرة: مكتبة الخانجي.
ـ طيباوي، عبد اللطيف، (1991). **المستشرقون الناطقون بالانجليزية** ، ترجمة قاسم السامرائي، ط1. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
ـ الكافيجي، محيي الدين،(1990). **المختصر في علم التاريخ**، تحقيق محمد كمال الدين ، ط1. بيروت: عالم الكتب.
ـ كمال الدين، محمد، (1993). **دراسات نقدية في المصادر التاريخية**، ط1. بيروت: عالم الكتب.
ـ مطبقاني، مازن، (د.ت). **من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر**، ط1. المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم.

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

ـ مطبقاني، مازن، (2018). **الاستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي**، ط2. القاهرة: دار البشير.

ـ مصطفى، شاكر، (1983). **التاريخ العربي و المؤرخون**، ط3. بيروت: دار العلم للملايين.

ـ الميداني، عبد الرحمان، (2000). **أجنحة المكر الثلاثة**، ط8. دمشق: دار القلم.

ـ ابن نبي، مالك، (2000). **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2. دمشق: دار الفكر.

ـ النملة، علي، (1998). **المستشرقون و التنصير**، ط1. الرياض: مكتبة التوبة.

ـ النملة، علي، (2008). **صناعة الكراهية بين الثقافات و أثر الاستشراق في افتعالها**، ط2. دمشق: دار الفكر.

ـ النملة، علي، (2011). **كنه الاستشراق**، ط3. بيروت: بيسان للنشر.

ـ النملة، علي، (2011). **مصادر الاستشراق و مصدريتهم**، ط2. بيروت: بيسان.

ـ النملة، علي، (2003). **المستشرقون ونشر التراث**، ط1. الرياض: مكتبة الملك فهد.

ـ النملة، علي، (1992). «أعمال المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين». **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم العدد07، ص.ص. (519-564).

ـ النشار، علي، (1984). **مناهج البحث عند مفكري الإسلام** ، ط3. بيروت: دار النهضة العربية.

ـ لقب واسم المؤلف، (السنة). **عنوان المرجع**، ط2. المدينة: دار النشر.

ـ السرجاني، راغب ،(2009). **ماذا قدم المسلمون للعالم؟**، ط2. القاهرة: مؤسسة اقرأ.

ـ السرجاني، راغب، (2007). **العلم وبناء الأمم**، ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ.

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

ـ سعيد، إدوارد، (2006). **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**،ترجمة محمد عناني، ط1. القاهرة: رؤية للنشر.

ـ سعيد، إدوارد، (1996). **تعقيبات على الاستشراق** ، ترجمة وتحرير صبحي حديدي ،ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـ السخاوي،محمد، (2017). **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التّوريخ**،تحقيق سالم الظفيري، ط1. الرياض: دار الصميعي.

ـ ابن عبود، محمد . (1985). منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي. في اسم المنسق (محرر)، **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية و الإسلامية**، ط2. تونس: المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم. ص ص 341-391 .

ـ العمري، أكرم، (2013). **السيرة النبوية الصحيحة**، ط7. الرياض: مكتبة العبيكان.

ـ عميرة، عبد الرحمان، (د.ت). **الإسلام بين أحقاد التبشير و ضلال الاستشراق**، د.ط. بيروت: دار الجيل.

ـ عزوزي،حسن،(2007). **آليات المنهج الاستشراقي** ،ط1. فاس: مطبعة الليدو.

ـ العلموي، عبد الباسط، (1350). **المعيد في أدب المفيد والمستفيد**، ط1. دمشق: المكتبة العربية.

ـ العقيقي، نجيب،(1964). **المستشرقون**، ط3. القاهرة: دار المعارف.

ـ فؤاد، عبد المنعم، (2001). **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، ط2. الرياض: مكتبة العبيكان.

ـ ابن فارس، أحمد،(1979). **معجم مقاييس اللغة**، ط2. القاهرة: دار الفكر .

ـ روزنتال، فرانز، (1986). **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، ترجمة صالح أحمد العلي، ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

ـ روزنتال، فرانز، (1961). **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي**، ترجمة أنيس فريحة، ط2. بيروت: دار الريحاني.

ـ روزنتال ، فرانز ، (1983). **علم التأريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح أحمد العلي، ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ـ شاكر، محمود، (1987). **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** ، ط1. القاهرة: دار المدني.

ـ أبو خليل، شوقي ، (1985). **موضوعية فيليب حتي في تاريخ العرب المطول**، ط1. دمشق: دار الفكر.

ـ خليل، عماد الدين، (1995). **حول تشكيل العقل المسلم**، ط5. بيروت: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

ـ الغزي ، محمد ، (2009). **الدر النضيد في أدب المفيد و المستفيد**، ط2. الجيزة: مكتب التوعية الإسلامية.

الناصرية

المؤلف المراسل: محمد عيساوي
Mohammed.aissaoui@univ-msila.dz